

الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) مفسراً

د. هيثم خضير عباس

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Al-Imam Al-Hasan (PBUH) as a Quran Interpreter

Dr. Haitham Kudhair Abbas

University of Babylon / College of Quran Studies

Abstract

This research is a little sup from the Prophet's households' science. The Imams, though confronted with great afflictions and tribulations, actively do their roles in spreading the religious messages and reserving the Prophet's traditions. One of them is Al-Imam Al-Hasan (PBUH) who preferred to guide people to God's satisfaction and deserted the secular authority. He explained the Holy Quran narrating to people his grandfather's and his father's speeches about it.

المقدمة

هذا البحث غيض من فيض علم أهل بيت النبوة ﷺ، وهذا البحث وإن كان صغير الحجم إلا أنه تضمن فائدة عظيمة وهي أن الأئمة صلوات الله عليهم لم يشغلهم ما يمرّ عليهم من مصائب وما يقع عليهم من ظلم، وما تحوطهم به الأيام من محن متتالية عن دورهم في إبلاغ رسالات ربهم والحفاظ على دين الله عزّ وجلّ وسنة جدّهم محمد ﷺ، وهداية الناس إلى طريق المولى سبحانه فكان خير مثال على ذلك هو الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الذي أثر هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله عزّ وجلّ على تولّي الكراسي الدنيوية فانصرف للتأصيل لمذهب سيبقى إلى أن يرث الله ومن عليها فراح يعلم المسلمين دينهم ويفقههم فيه، ويفسّر لهم القرآن العظيم وما أشكل عليهم من معانيه، ويروي لهم أحاديث جدّه وأبيه ﷺ، وكلّ ذلك بأسلوب سهل جزل يتناسب مع عقول الناس في عصره وما يخصنا هنا هو جانب التفسير عند الإمام الحسن (عليه السلام)، ومن هنا جاءت أهمية البحث، وسبب اختياري له.

وقد قسمت البحث على ثلاثة مطالب، تضمّن الأول مصادر التفسير عند الإمام الحسن (عليه السلام)، وتضمّن الثاني نماذج من تفسيره لآيات القرآن الكريم، وتضمّن الثالث الحديث عن فضائل السور، ثم بعد ذلك خلاصة البحث وقائمة المصادر. وكان من أهمّ المصادر التي اعتمدت في البحث هي: بحار الأنوار للعلامة المجلسي، والاحتجاج للشيخ الطبرسي، والتهذيب لشيخ الطائفة الطوسي، والكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

المطلب الأول

مصادر التفسير عند الإمام الحسن (عليه السلام)

عند تتبع واستقراء تفسير الإمام الحسن (عليه السلام) لآيات القرآن الكريم نجد بوضوح أنّه قد استمد تفسيره من القرآن الكريم نفسه، وهو خير التفاسير، وهو ما يسمى عند علماء التفسير بـ (تفسير القرآن بالقرآن)، وهو أحكم أنواع التفسير حيث أن القرآن الكريم يُفسّر بعضه البعض الآخر، ثم يستمد الإمام الحسن (عليه السلام) تفسيره من السنة النبوية في المرتبة الثانية، وذلك بأن يروي تفسيراً للآيات عن النبي (ﷺ) أو عن أبيه (عليه السلام) وفي المرتبة الثالثة يفسر القرآن الكريم بما أتاه الله عزّ وجلّ من العلم اللدني.

وفيما يأتي نماذج من هذه التفاسير:

أولاً: تفسيره (عليه السلام) للقرآن بالقرآن نفسه:

قال تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾¹.

قال الإمام الحسن (عليه السلام): ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ بأن نرفع حكمها ﴿أَوْ نُنسِئُهَا﴾ بأن نرفع رسمها، ونزيل عن القلوب حفظها، وعن قلبك يا محمد.

وقد استدلل الإمام الحسن (عليه السلام) على تفسيره هذا بآية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾² أن ينسبك فيرفع ذكره عن قلبك.

(تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) يعني: بخير لكم، فهذه الثانية أعظم لثوابكم، وأجل لصالحكم من الآية الأولى المنسوخة. (أَوْ مِثْلَهَا) من الصلاح لكم، أي إننا لا ننسخ، ولا نبدل إلا ورضنا في ذلك مصالحكم. ثم قال: يا محمد (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي: قدير يقدر على النسخ وغيره. (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وهو العالم بتدبيرها ومصالحها فهو يدبركم بعلمه. (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يلي صلاحكم إذ كان العالم بالمصالح هو الله عز وجل دون غيره ومالك من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد الله إنزاله بكم، أو عقاب إن أراد الله إحلاله بكم فهو يملكها بقدرته، ويصرفها بحسب مشيئته، لا مُقَدَّم لِمَا يُؤخَّر، ولا مؤخَّر لما قَدَّم³.

ثانياً: تفسير الإمام الحسن (عليه السلام) للقرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾⁴، قال الإمام الحسن (عليه السلام): من اختار أبي دينه (محمد وعلي عليهم الصلاة وأزكى السلام) على قرابات أبيي نسبه، اختاره الله تعالى على رؤس الأشهاد يوم التتاد، وشهره بخلع كراماته، وشرفه بها على العباد إلا من ساواه في فضائله أو فضله⁵، وهذا التفسير وأمثاله لا يعرف إلا من خلال السنة النبوية، لأنه إخبار بأمر غيبي فكان هذا التفسير من الإمام الحسن (عليه السلام) في حكم المرفوع إلى النبي (ﷺ)، فهو تفسير للقرآن الكريم بالسنة المرفوعة للنبي (ﷺ).

ثالثاً: تفسيره للقرآن الكريم بعلمه الخاص (عليه السلام) (العلم اللدني).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁶

سئل الإمام (عليه السلام) عن هذه الآية فقال: ما ذبح لصنم، أو وثن، أو شجر حرم الله ذلك، كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير، فقيل يا ابن رسول الله (ﷺ) فما معنى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً، لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة⁷، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختبار، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر⁸. وهذا هو منهج الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) في تفسير القرآن الكريم، منهج رصين انتهجه أغلب المفسرين ممن جاؤوا بعده، وجعلوه أصلاً يسرون عليه ويهتدون به، وسنزيد من التفصيل في هذه الأمثلة في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى: (نماذج من تفسير الإمام الحسن (عليه السلام) لآيات القرآن الكريم) وسنشير الى

¹ - البقرة: الآيات 106-107

² - الأعلى: 6-7

³ - ينظر التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (ع) 73، و بحار الأنوار 263\23.

⁴ - البقرة: 83

⁵ - ينظر: المصدران نفسهما 73، 23/ 263

⁶ - البقرة: 173.

⁷ - ينظر: التهذيب 83/9.

⁸ - المصدر نفسه 83/9

كل تفسير، ومن أين استمداه الامام (عليه السلام)، ومدى موافقة المفسرين المتأخرين من المدارس المتنوعة مع تفسير الامام الحسن (عليه السلام).

المطلب الثاني

نماذج من تفسير الإمام الحسن (عليه السلام) لآيات القرآن الكريم

فمن تفسيره (عليه السلام) قول الله عز وجل: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْنًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»¹، سأل رجل الامام (عليه السلام) فقال: يا ابن رسول الله ما تقول فيمن قال لأمرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال (عليه السلام): يا هذا اقرأ كتاب الله، قال تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ) في الثالثة²، وعلى هذا أكثر المفسرين والفقهاء من الشيعة والسنة³.

ومن تفسيره (عليه السلام) للقرآن بالقرآن، قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْفِكُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»⁴، قال الإمام الحسن (عليه السلام): وأما ما شُرِطَ عليهن، فإنه أمرها أن تعتد إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند إيلائه. قوله تعالى: «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»⁵ وكذا ذكر الجصاص في تفسير أحكام القرآن، وغيره كثير من المفسرين⁶.

ومثله تفسيره لقوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»⁷، ذكر الشيخ الطبرسي: عن رجل قال: قلت لأبي محمد الحسن المجتبي (عليه السلام): ما معنى الأحد؟ قال المجمع عليه بالوحدانية والذي اجتماع الاسن عليه بالتوحيد. أما سمعته يقول: «وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ»⁸.

وعلى هذا عمّة المفسرين من المدرستين⁹.

وما تقدّم من أمثلة يمكن إدراجه تحت عنوان: (تفسير القرآن بالقرآن).

وهنا نماذج أخرى من تفسير الامام الحسن (عليه السلام) لبعض آيات القرآن الكريم:

كقوله تعالى: (وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبُهَا فَاسْتَنبِهُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)¹⁰

قال الامام (عليه السلام): يجتمع إليه - أي القائم - من أصحابه، عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض¹¹.

وذلك قول الله عز وجل: «أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا»

ولم يقل بذلك أحد من مفسري أهل السنة حسب علمي والله أعلم وهذا التفسير حكمه حكم المرفوع لرسول الله (ﷺ)، ومثله قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَمُّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ

1 - البقرة 229

2 - ينظر: الكافي 282/3.

3 - ينظر تفسير الطبري 540/4.

4 - البقرة 234

5 - ينظر الكافي 11316، و دلائل الامامة 388.

6 - ينظر أحكام القرآن 118/2.

7 - الاخلاص 1

8 - العنكبوت 61، وينظر: الاحتجاج 477/2.

9 - ينظر الكشاف 817/4.

10 - البقرة 148.

11 - ينظر: اكمال الدين 377/2.

وَالْمُؤَفُّودَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا دَكَيْتُمْ وَمَا دُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقُ الْيَوْمِ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ¹، ذكر الشيخ الطوسي أن رجلاً قال: قلت لأبي محمد (عليه السلام). فقوله: (وَالْمُنْحَنَقَةُ وَالْمُؤَفُّودَةُ...)؟ قال المنحنة التي اختنقت بإخناقها حتى تموت. والموقودة التي مرضت، ووقدها المرض حتى لم تكن بها حركة. والمتردية التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل، أو تتردى من جبل، أو في بئر فتموت. والنطيحة التي تتطحها بهيمة أخرى فتموت، وما أكل السبع منه فمات. وما دُبِحَ على النُّصَبِ على حجر، أو على صنم... قلت: وأن تستقسما بالأزلام؟ قال: كانوا في الجاهلية يشترون بغيراً فيما بين عشرة أنفس، ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة سبعة لهم أنصباء. وثلاثة لا أنصباء لها أما التي لها أنصباء فالفخذ والتوأم، والنافس، والحلس، والمسبل، والمعلی، والرقيب. وأما التي لا أنصباء لها. فالسفع، والمنيح، والوغد، وكانوا يجيلون السهام بين عشرة، فما خرج باسمه من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون كذلك حتى تقع السهام التي لا أنصباء لها، إلى ثلاثة فيلزمونهم ثمن البعير ثم ينحرونه، ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة الذين وقروا ثمنه شيئاً، فلما جاء الإسلام حرم الله تعالى ذلك فيما حرم وقال: (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) يعني حراماً²، وهذا التفسير من الامام من باب حكم الحديث المرفوع للنبي (صلى الله عليه وآله) وقد تابع على ذلك عامة المفسرين من المدرستين³.

ومثله قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴.

قال الامام (عليه السلام): من حارب، وأخذ المال، وقتل، كان عليه أن يقتل ويصلب، ومن حارب وقتل ولم يأخذ المال، كان عليه أن يقتل ولا يصلب، ومن حارب وأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن تقطع يده ورجله من خلاف. ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن ينفى. ثم استثنى الله عز وجل فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني يتوب، من قبل أن يأخذهم⁵. ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁶.

قال الامام أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدرك ببصرك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدرك ببصرك ذلك فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الابصار؟.

وسأل رجل الإمام (عليه السلام) عن شيء من التوحيد؟ فقال ألا تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فقرأت، فقال: ما الأبصار؟ قلت: أبصار العين. قال: لا: إنما عنى الأوهام، لا تدرك الأوهام كيفيته، وهو يدرك كل فهم⁷. فالإمام هنا يفسر آيات القرآن الكريم بعلمه اللدني، وبأبسط العبارات حتى أنه يضرب مثلاً للسائل حتى يفهم الاجابة. وقد استمد الامام (عليه السلام) تفسيره هذا من أبيه (عليه السلام).

1 - المائدة 3

2 - ينظر التهذيب 83/9

3 - ينظر بحر العلوم للسمر قندي 368/1

4 - المائدة 33-34

5 - ينظر التهذيب 83/9.

6 - الأنعام 103

7 - تفسير القمي 167/1، وينظر روح المعاني 221/5

ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَبِّئُهُمَا حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾¹.

روى الشيخ الصفار عن سعد بن سعد قال: سألت أبا محمد (عليه السلام) عن هذه الآية؟ فقال: هم يا سعد، الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم².

ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾³.

قال الإمام الحسن (عليه السلام): الاصرار على الذنب أمنٌ لمكر الله⁴. ومثله قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾⁵.

قال الامام الحسن (عليه السلام): أخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما داموا يستغفرون⁶. ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾⁷.

قال (عليه السلام): من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجه (ألا تفعلوا تكن...)⁸ وهذا منه (عليه السلام) تفسير بعمله.

ومثله قوله تعالى: (قل هو الله أحد).

فقد سئل الامام (عليه السلام) عن معنى (الأحد) فقال المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول: ﴿وَلَسِنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁹.

فقد أجمع الفريقان من المؤمنين والكافرين على أن الخالق المدبر القائم على شؤون الخلق هو الله عز وجل لا غيره، وهذا منه (عليه السلام) تفسير للقرآن بالقرآن، وهو أرقى أنواع التفسير، وأقربها للصواب، ولا يتيسر إلا لمن تدبر وتفكر في آيات الله سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾¹⁰ قال (عليه السلام): من كانت أخته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة¹¹. ومثله قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾¹².

قال (عليه السلام): هي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر¹³.

وقد أجمع أغلب أهل التأويل أن الليلة المقصودة هنا هي: (ليلة القدر).

إلا أنهم اختلفوا في تعيين هذه الليلة، وأين تكون من شهر رمضان المبارك¹⁴.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾¹⁵.

قال الامام الحسن (عليه السلام): إن الله عز وجل يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلا به عز وجل¹⁶، وتابع على ذلك عامة مفسري أهل السنة. وهذا الكلام من الإمام الحسن (عليه السلام) كلام جليل عظيم

1 - الأعراف 46.

2 - ينظر الطبري 12-451.

3 - الأعراف 99.

4 - ينظر الاحتجاج 2 / 477، و الوسيط 3/355.

5 - الأنفال 33.

6 - ينظر الكافي 5/347.

7 - الأنفال 73.

8 - ينظر: الاحتجاج 2 / 477، و الوسيط 3/355.

9 - لقمان 31.

10 - الزخرف 67.

11 - ينظر: روح المعاني 4/576.

12 - الدخان 4.

13 - ينظر: اقبال الاعمال 504.

14 - ينظر: جامع البيان 5/496.

15 - النجم 1.

16 - ينظر: من لا يحضره الفقيه 3/236.

الأهمية يجب الوقوف عنده، مما يعني أن الاقتصار بالحلف على الله عزّ وجلّ وحده خير من الحلف بغيره سبحانه وهذه هي وصية الأئمة وعقيدتهم.

وقوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)¹
فقد سئل الامام (عليه السلام): عن الرجل يطلق زوجته عدد نجوم السماء فقال: لا طلاق إلا بخمس:

- 1- شهادة شاهدين عدلين.
- 2- أن يكون الطلاق في أثناء الطهر.
- 3- أن لا يجامع زوجته في ذلك الطهر.
- 4- أن تتوفر النية.
- 5- أن يعزم على الطلاق.

فاذا تحقق ذلك وقع الطلاق، ولو بنجمة واحدة، وليس بعدد نجوم السماء، وعلى ذلك عامة الفقهاء، ويسمى عند أهل السنة بـ (طلاق السنة)².

ومثله قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}³ قال الامام (عليه السلام) يعني به، هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المصلي ويشمل أماكن السجود، وبيوت الله عزّ وجلّ⁴. والله أعلم ومثله قوله تعالى: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ. ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ)⁵

قال الامام (عليه السلام): أي بعداً لك من خير الدنيا، بعداً، بعداً لك من خير الآخرة⁶.

وقوله عزّ من قائل: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)⁷

ومثله قوله سبحانه: (سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)⁸

قال الامام (عليه السلام): أي لا ينسى شيئاً مما أنزل عليه (ﷺ) إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه، ويرفع ذكره عن قلب النبي محمد (ﷺ)⁹.

وهذا كله من باب التفسير بعلمه اللدني الإلهي (عليه السلام).

المطلب الثالث

فضائل السور

لم يترك الأئمة صلوات الله عليهم آية من آيات القرآن الكريم إلا وفسروها للناس بما يتوافق مع معطيات عصرهم، وعلى قدر أفهامهم وعقولهم، وكذلك لم يتركوا سورة واحدة من سور القرآن العظيم إلا وبينوا فضلها، وثواب قارئها.

وهنا سنقتصر على مثال واحد فقط لذلك، على عظم عناية الأئمة (عليهم السلام) بالقرآن وسوره وآياته.

فهنا يذكر الامام الحسن (عليه السلام) سورة قصيرة من حيث الآيات والكلمات، إلا أن فضلها من أكبر العظيّمات، فهو يذكر لها أكثر من فضل، وأكثر من جزاء لمن يقرؤها، وفي أوقات مختلفة مقبولة مضاعفة، ومن قرأها ثم دعا، رُفِعَ إلى اللوح المحفوظ مستجاباً¹.

¹ - الطلاق 2.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن 807/6.

³ - الجن 18

⁴ - ينظر التبيان 338/4. و ابن كثير 123/4.

⁵ - القيامة 34.

⁶ - ينظر مفاتيح الغيب 576/4.

⁷ - الإنسان 3.

⁸ - الأعلى 6.

⁹ - ينظر الميزان في تفسير القرآن 588/9. و التحرير والتنوير 189/6.

فضل سور (القدر)

قال الامام (عليه السلام): من قرأ سورة القدر في صلاة، رفعت في عليين، وعن محمد بن أحمد قال: كتبت الى أبي محمد (عليه السلام) أني قد لزمني دين فادح، فكتب (عليه السلام): أكثر من الاستغفار، ورطب لسانك بقراءة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾². وعنه أيضاً قال: كتبت الى أبي محمد (عليه السلام)، أن علمني شيئاً إذا أنا قلتك كنت معك في الدنيا والاخرة. فكتب (عليه السلام) بخطه أعرفه، أكثر من تلاوة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...﴾ ورطب شفئك بالاستغفار³. وقال الامام (عليه السلام): من زار قبر أخيه المؤمن فجلس عند قبره واستقبل القبلة، ووضع يده على القبر، وقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سبع مرات، أمّن من الفرع الأكبر⁴.

وقد كتب رجل إلى الإمام الحسن (ع) يسأله عن صلاة نوافل شهر رمضان والزيادة؟ فكتب (عليه السلام) إليه كتاباً. أن أكثر من قراءة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾⁵. وقال (عليه السلام): من قرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ بعد صلاة العصر عشر مرات، كان له على مثل أعمال الخلاق، ومن قرأها سبع مرات قبل العشاء الآخرة، كان في ضمان الله تعالى حتى يصبح⁶. وعن الإمام (عليه السلام) أنه: من قرأ سورة القدر في كل يوم ليلة ستاً وسبعين مرة، خلق الله له ألف ملك يكتبون ثوابها ستة وثلاثين ألف عام، ويضاعف الله تعالى استغفارهم له ألفي سنة، ألف مرة⁷ ويكون ذلك في سبعة أوقات:

- الأول* بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح سبعاً، ليصلي عليه الملائكة ستة أيام.
- الثاني* بعد صلاة الغداة عشراً، ليكون في ضمان الله الى المساء.
- الثالث* اذا زالت الشمس قبل النافلة عشراً، لينظر الله تعالى إليه ويفتح له الأبواب.
- الرابع* بعد نوافل الزوال إحدى وعشرين، ليخلق الله تعالى منها بيتاً طوله ثمانون ذراعاً، وكذا عرضه، وستون ذراعاً سمكه، وحشوه ملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة، ويضاعف الله تعالى استغفارهم ألفي سنة، ألف مرة.
- الخامس* بعد العصر عشراً، لتمرّ على مثل أعمال الخلاق يوماً
- السادس* بعد العشاء سبعاً، ليكون في ضمان الله إلى أن يصبح.
- السابع* حيث يأوي إلى فراشه إحدى عشرة، ليخلق الله له منها ملكاً، راحته أكبر من سبع سماوات وسبع أرضيين، في موضع كل ذرة من جسده شعرة تنطق بقوة الثقلين، يستغفرون لقارئها إلى يوم القيامة⁸.

وهذا غيض من فيض مما ذكره الأئمة (ع) في فضائل سور القرآن الكريم.

الخلاصة

من خلال هذا البحث تعرفنا على أن الامام الحسن المجتبي (ع) كان من الذين يتصدون لتفسير القرآن العظيم وآياته الكريمة ويذكر دقائقها، وما أشكل على الناس فهمها.

وكان يستمد الامام (ع) تفسيره لآيات القرآن الكريم وكلماته من طريقتين:

الأول* أن يروي عن أبيه (ع)، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الثاني* أن يفسر القرآن الكريم بعلمه الذي علمه الله عزّ وجلّ له.

وكذلك نجد الامام (ع) يفسر القرآن الكريم بالقرآن الكريم نفسه تارة، وتارة يفسره بالسنة النبوية، وتارة

يفسره بأقوال أبيه (ع)، وتارة وهو الأكثر يفسره بما آتاه الله عزّ وجلّ من علم لدنيّ، وإمكانات معرفية إلهية.

1 - ينظر: بحار الانوار 66/8.

2 - ينظر: الكافي 316/5.

3 - ثواب الاعمال 197.

4 - ينظر: رجال الكشي 564.

5 - ينظر: الاستبصار 464/1.

6 - ينظر: فلاح السائل 199.

7 - ينظر: مستدرک الوسائل 97/5.

8 - بحار الانوار 80/8.

وكذلك نجد أن المفسرين المتقدمين والمتأخرين قد وافقوا وتابعوا الإمام الحسن (ع) على تفسيره كلاً إلا في موضع أو موضعين فإنهم قد ذكروا معاني أخرى للآيات والألفاظ التي تحتملها اللغة وليس معنى هذا أنهم خالفوا ما ذهب إليه الإمام (ع) من تفسير وإنما هي زيادات ذكرها لتتمام المعنى مما يحتمله اللفظ ويتناسب مع اصطلاح أهل عصرهم وعقولهم، ولا مخالفة فيه للغة العربية وسبب ذلك أن الإمام (ع) كان يفسر للناس ما يحتاجون إليه فقط أو ما يتوجهون إليه بالسؤال عن بعض الآيات والألفاظ، فكان جواب الإمام (ع) مختصراً على قدر حاجتهم، وعلى قدر فهمهم واستيعابهم، وما هذه الزيادات التي ذكرها المفسرون إلا معاني يفهمها أهل العصر الذي هم فيه. فإذا ما وضع ميزان يوزن به المفسرون، كان الإمام الحسن (ع) إماماً للمفسرين دون منازع.

المصادر

بعد القرآن الكريم.

- 1- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ت 620هـ، تعليق: محمد باقر الخراسان.
- 2- أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي ت 370هـ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين دار الكتب العلمية بيروت، 1415هـ/1994م.
- 3- اقبال الاعمال
- 4- اكمال الدين
- 5- بحار الانوار، للعلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت.
- 6- الاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي. مطبعة النجف في النجف 1375 هـ
- 7- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ت: 373هـ.
- 8- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.
- 9- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت 460هـ، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي.
- 10- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419هـ.
- 11- التفسير الوسيط، الشيخ محمد سيد طنطاوي. الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 12- التفسير المنسوب للإمام العسكري.
- 13- تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله (من اعلام القرنين 3 - 4 هـ)
- 14- التهذيب، الشيخ الطوسي.
- 15- ثواب الاعمال، السيد بن طاووس الحلبي.
- 16- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
- 17- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري.
- 18- دلائل الامامة، لابن جرير الطبري
- 19- رجال الكشي
- 20- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي.
- 21- فلاح السائل

- 22- الكافي في الفروع، محمد بن يعقوب الكليني.
- 23- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل
- 24- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي.
- 25- مستدرک الوسائل
- 26- معالم التنزيل، عبد الله بن أحمد البغوي.
- 27- من لا يحضره الفقيه،
- 28- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي الحكيم.